

٢ المرأة المصرية فى عصر الجبرتى

د. عبد المنعم إبراهيم الجمى

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

بجامعة القاهرة فرع الفيوم

يعد عصر المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى عصر احتدام تاريخى انقلب فيه أوضاع مصر الاجتماعية، وانعكست فيه أحوال الزمان، وانتقلت فيه البلاد من حال إلى حال فقد عاش الجبرتى على مفرق طرق شملت أجيال ثلاثة الأول كان الفترة الأخيرة من عصر المماليك وقد حدث خلالها ثورة على بك الكبير ومحاولته الاستقلال بمصر (١٧٦٩م) وكان الجبرتى وقتئذ فى الخامسة عشرة من عمره، والثانى وكان فترة قدوم الحملة الفرنسية وما صاحبها من فجوة ثقافية تخالفا احتكاك بين العقل المصرى والتأثير الثقافى الوافد من أوروبا.

أما الثالث فكان عصر محمد على الذى تمت فيه محاولات بناء مصر الحديثة وقد قدم لنا الجبرتى صورة هذا الانتقال الذى تمثل فى الصراع بين بقايا العصور الوسطى والحضارة الأوربية الحديثة الوافدة مع الحملة الفرنسية والتي حاول محمد على مسايرتها. وموضوع "المرأة المصرية فى عصر الجبرتى" يتناول أثر هذا الانتقال فى أوضاع المرأة المصرية والتغيرات التى حدثت فى سلوك بعض النساء القاهريات خلال الحملة الفرنسية ورفض الجبرتى لكل ما دار حوله من مظاهر التمرد على التقاليد وخروج بعض النساء عن الحشمة والحياء، كما تطرق الجبرتى إلى التغيرات العميقة التى عاشتها المرأة المصرية فى ضوء الإصلاحات التى أدخلها محمد على وكيف ساهمت النساء بقوة فى إحداث هذا التغير عن طريق العمل فى إنتاج خطة محمد على فى بناء الدولة الحديثة حيث اعتمد عليهن فى سد نقص العمالة فى المزارع والعمل بالفلاحة ورعاية الزرع وحصد المحاصيل خاصة عند ذهاب الفلاحين للتجنيد أو عند قيامهم بأعمال الرى، هذا بالإضافة إلى استخدام محمد على للنساء للعمل فى مصانعه إلى جانب الرجال وإسناد بعض الوظائف إليهن فخرجت المرأة للعمل لحساب الحكومة فى صناعات الغزل والنسيج وغيرها لتشارك فى بناء مصر الحديثة على الرغم من التقاليد التى كانت تقف حجر عثرة أمامها يضاف إلى ذلك أن محمد على حاول اختراق التقاليد الجامدة

القيت هذه الدراسة فى احتفالية المجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع الجمعية التاريخية بتكريم المؤرخ الفرنسى اندريه ريمون فى إبريل ٢٠٠٥

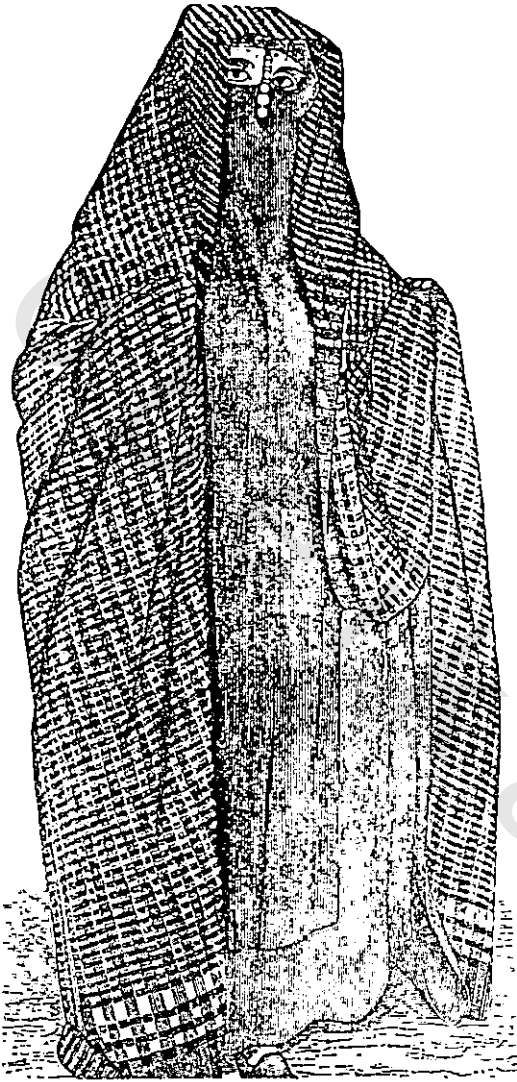
بتعليم المرأة، فافتتح لها مدرسة الولادة كبداية لمشروعها الخاص ببلورة الوضع الاجتماعي في مصر، وفيما يلي تعرض لذلك:

أولاً: المرأة المصرية في بدايات عصر الجبرتي:

على الرغم من قيود العادات والتقاليد التي كبلت المرأة المصرية في عصر الجبرتي، فقد اختلفت أوضاعها الاجتماعية مع المتغيرات السياسية التي طرأت على مصر وتباينت التغيرات التي حدثت في أسلوب حياتها ابتداءً بالطبقة العليا من النساء، وانتهاءً بالطبقة الدنيا كما اختلفت هذه التغيرات بحسب تواجد المرأة سواء كانت من أهالي المدينة أو الريف أو من أهالي الوجه البحري أو القبلي فنساء الطبقة العليا عموماً لم تكن سوى أداة ترف عند الرجال وكان أغلبهن عاطلات عن العمل المجدي منزويات في أماكن الحريم يشكين من التخمّة وعسر الهضم نظراً لاكتناهن من تناول الأطعمة الدسمة والمكسرية مع قلة الحركة وقضاء الساعات الطوال خلف المشربيات لمشاهدة المارة دون أن يتمكن هؤلاء من رؤيتهن^(١)، فقد كان لا يراهن أحد سوى الأغوات والطواشيبة الذين يقومون على خدمتهن وقد كن لا يستطعن مغادرة المنزل إلا نادراً، ولا يبرجن دورهن إلا للذهاب إلى الحمامات أو لزيارة الأقارب حيث يركبن حميراً أسرجت بسجاجيد نفيسة يرهاها السائس من كل جانب ويتقدمها الخصيان، ويسير الجوارى في طليعتها، حيث كان من بواعث الشرف للزوجة أن يكون عدد جواريتها كبيراً، وكانت تفتخر بأنهن من توابعها، وكان اهتمام نساء الطبقة العليا ينحصر في القيل والقال، والحديث عن المصنوعات والألأى والأحجار الكريمة من الماس والملابس المزخرفة، والتبرج بالذهب والحرير والكشمير ذي الألوان الساطعة وغيره دون أي نوع من النشاط الذهني المفيد، إذ فرض عليهن أن يعشن عيشة مجردة من كل مزية بعيدة عن كل هدف لذلك كان أفقهن مظلماً^(٢)، وإن حاولن إدخال السرور على أنفسهن باستحضار بعض المغنيات والعوالم للتسلى بهن^(٣).

وكانت نساء هذه الطبقة تتعرض في كثير من الحالات لتغيير أوضاعهن، حيث كان مألوفاً في الحروب بين الممالك أن يستولى الغالب منهم أو من رؤساء جندهم على

(١) ستانلي لين بول: سيرة القاهرة - ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخران، ص ص ٣٥ - ٣٦.
(٢) درية شفيق وإبراهيم عبده: تطور النهضة النسائية في مصر من عهد محمد علي إلى عهد الفاروق، ص ٧
(٣) كلوت بك: لمحة عامة إلى مصر، ج ١، ص ٦٢٢.



أمرأة مدنية ملايها - A woman clad in the milayeh, etc.



السيدة عند الخروج - Lady attired for riding or walking



السيدة مع سلة - Lady with basket



السيدة مع سلة - Lady with basket

زوجات المغلوبين وسرايرهم سواء رضى أم كرهن، وكانوا يقومون ببيعهن أو أهدائهن إلى أصحاب النفوذ.^(١)

وعلى الرغم من كل ذلك، فقد ظهر في ذلك العصر من النساء من كان لهن باع كبير في الحياة العامة أمثال نفيسة المرادية^(٢)، زوجة مراد بك التي نالت من المكانة الاجتماعية حظا كبيرا وكانت تمتلك من الشجاعة وقوة الشخصية ما جعلها موضع احترام الجميع سواء في حياة زوجها أو بعد مماته.

وإذا كان ذلك هو حال نساء الطبقة العليا فإن نساء الطبقة الوسطى لم يزد حالها عن حال هذه الطبقة كثيرا .

أما نساء الطبقة الدنيا من الفلاحات وغيرهن فكن يغزلن بخيوط من الصبر وقوة الإرادة قصص مذهلة تجسد كفاح المرأة المصرية فكان بعضهن يعمل أكثر من الرجال ويرحن ويجنن بملابسهن السوداء طليقات من غير قيد، ويمشين بهائمات مرفوعة، وخلفهن أسراب من الأطفال بملابسهم البالية وعيونهم التي يتجمع حولها الذباب حيث يعملن في الحقول وتحت أشعة الشمس، كما يعملن في غزل القطن والكتان والصوف والحريز في منازلهن المبنية بالطين ، ويقمن بتجهيز الطعام وجلب المياه في جرار كبيرة يحملنها على الرؤوس من الترع والآبار كما يقمن بعمل الجلة من روث البهائم المخلوط بالتبن ووضعها في الشمس لاستعمالها كوقود في الأفران^(٣)، وتقوم المرأة الريفية أيضا بتربية الطيور وأحيانا قليل من الأغنام التي تتطلق في فناء وحجرات المنزل دون كلفه، وتنشأ بينها وبين أهل البيت ألفة عجيبة^(٤)، أما عن نومها فكانت تنام غالبا على قبة القرن تحت الهباب في الشتاء، لتشعر ببعض الدفء، أما في الصيف فكانت تنام على السطح^(٥)، كما ساهمت نساء الطبقة الدنيا في المدينة وفي القرية بوجه خاص بدور هام في صناعة الغزل والنسيج فكان بعض النساء يقمن بعملية الغزل في بيوتهن لحسابهن، حيث كانت السلطات

(١) محمود الشرقاوى: مصر في القرن الثامن عشر، ص ١٧٣.

(٢) جركسية الأصل من بلاد الكرج، وقد ذاع صيتها عندما دخلت في حريم على بك الكبير، وكانت ذات ثروة كبيرة، كما كان لها دارا تطل على بركة الأزبكية وبعد وفاة على بك الكبير تزوجت من مراد بك وخلال ذلك نالت مكانة كبيرة في المجتمع المصري. وللتفاصيل أنظر: محمود الشرقاوى: مصر في القرن الثامن عشر، ج١، ص ١٦٦-١٦٧.

(٣) كلوت بك: مرجع سابق، ص ٦٢٣.

(٤) محمد كمال يحيى: الجذور التاريخية لتحرير المرأة المصرية في العصر الحديث، ص ١٤.

(٥) الأستاذ: الجزء السادس عشر في ٦ ديسمبر ١٨٩٢ مقال بعنوان "مدرسة البنات بهانه وست البلد"، ص ٣٧.

تمدها بكميات من القطن والكتان وغيره لتصنعه خيوطاً^(١) والبعض الآخر منهن يعملن لحساب الغير من خلال وسيط. فكان النساج يسلم المادة الخام إلى الغازلات التي يعيدنها إليه مغزولة بعد فترة نظير أجره متفق عليها مسبقاً.^(٢)

هذه كانت حياة المرأة المصرية على مختلف طبقاتها في الفترة الأولى من عصر الجبرتي والتي تغيرت بشكل واضح بعد مجيء الحملة الفرنسية على مصر في عام ١٧٩٨م وفيما يلي نعرض لذلك.

ثانياً: نظرة الجبرتي للمرأة المصرية خلال الحملة الفرنسية:

من أبرز آثار الحملة الفرنسية التي سجلها الجبرتي ما تأثرت به حياة المرأة القاهرية بصفة خاصة بوجود الفرنسيين، فبعد أن كانت القيود الشرقية تكبل حياة الحريم، رأت المرأة القاهرية مدى التحرر وتلطف الفرنسيين في معاملتهم للنساء، وخضوعهم لهن "وعدم مخالفة هواهن، فطرح الحشمة والوقار والمبالاة والاعتبار"^(٣)، لدرجة أنها انبهرت بحياة التحرر وبأزياء الفرنسيات، وقد سجل الجبرتي ذلك بقوله لما حضر الفرنسيين إلى مصر ومع البعض منهم زوجاتهن كانوا يمشون في الشوارع مع هؤلاء النسوة وهن حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحريرية الملونة. ويركبن الخيول والحمير ويسوقونها سوقاً عنيفاً مع الضحك والقهقهة فمالت إليهم أهل الأهواء من النساء الأسافل^(٤)، كما حاولت بعض النساء تقليد الفرنسيات، فاختلفت بعض المصريات بالفرنسيين، وخرجن عن الحشمة والحياء فوجدت الجوارى السود في ذلك فرصة للخروج عن تقاليد المرأة الشرقية. وقد ساعدهم الفرنسيون على ذلك رغبة في إشباع رغباتهم نحو المرأة وقد أوضح الجبرتي ذلك بقوله فلما علمن رغبة القوم في مطلق الأنثى ذهبن إليهم أفواجا، فرادى وأزواجا فنططن الحيطان، وتسلقن إليهم من الطيقان^(٥).

كما ارتادت بعض هؤلاء النسوة المقاهي في حى الحسين، وانشأ الفرنسيون لأهل الخلاعة منهن منتزها في غيط النوبى بالأزبكية تقام فيه الاحتفالات التي يتجمع فيها النساء والرجال للرقص وقد وصفه الجبرتي بأنه أبنية على هيئة مخصوصة منتزعة،

(١) دار الوثائق: معية تركي، دفتر ٣ أمر رقم ١٩٩ في ١٩ ربيع الآخر ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م.

(٢) بها عبد التواب: المرأة العاملة في الصناعة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ص ٢٢.

(٣) الجبرتي: عجائب الآثار، ج ٢، ص ٤٣٦ - ٤٣٧، حوادث عام ١٢١٥هـ.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

يجتمع بها النساء والرجال للهو والخلاعة فى أوقات مخصوصة. وجعلوا على كل من يدخل إليه قدرا مخصوصا يدفعه. أو يكون ماذونا ويده ورقة^(١) أى تصريح بالدخول. وقد استغز الجبرتي ذلك وأدانه ووصفه بالتبرج والخروج عن أصول الحشمة والحياء^(٢)، ونتيجة لهذا الاختلاط والانفلات، ورغبة بعض النساء فى اكتساب النفوذ حدثت حالات زواج يشوبها المصلحة والغموض بين الفرنسيين الذين كانوا يظهرن اسلامهم عند العقد على مسلمات لبسن ملابس الفرنسيات، وسلكن سلوكهن ونهجن نهجن فى الحياة، وأصبح لهن الكلمة المسموعة، بعد أن صرن مع حكام الأخطاط للنظر فى شئون الأهالى والأمر والنهى فى الأحكام وأمامهن القواسم والخدم وبأيديهم العصى لإبعاد الناس عنهن، وأبرز الأمثلة على هذه الزيجات زواج الجنرال "مينو" من زبيدة الرشيدية، ومعاملته لها معاملة السيدات الفرنسيات إذ كان يمد إليها يده كلما هم بالدخول معها إلى مكان عام، وكان يتحرى لها أوفق المجالس ويقدم إليها خير الأطفعة، وزواج الراقصة المسماة "هوى" من "نقولا القبطان"، بعد أن رآها ترقص فى أحد المقاهى، وكان يوافقها على رغباتها ولا يخالف هواها حتى ولو قامت بضربه كما خرجت بعض نساء الطبقة الوسطى عن التقاليد وتزوجن ببعض الفرنسيين الذين كانوا ينطقون بالشهادتين بشكل آلى ليتزوجوا^(٣).

يضاف إلى ذلك حدوث صداقة من بعض نساء الأسر المشهورة للقادة الفرنسيين رغم مكانة أسرهم فى المجتمع المصرى وخلع بعضهم برقع الحياء وكان من أبرز هؤلاء زينب البكرى أحد بنات أسرة البكرى العريقة والتي كانت تتبرج مع الفرنسيين، وتخرج عن طورها معهم، والذى تبرا منها والدها بعد خروج الحملة. كما وجد هذا الانفلات طريقا إلى قلوب كثير من نساء المماليك الذين مات أزواجهن فى معركة إمبابية، فانطلق بعضهم إلى حياة التحرر بعد أن كن يقضين سنوات عمرهن وراء المشربيات.

(١) الجبرتي: عجائب الآثار، ج ٢ طبعه بيروت، ص ٢٣١.

(٢) على الرغم من أن المماليك كانوا قد أجازوا إقامة دور للخلاعة وفرضوا عليها ضرائب مقررّة فإن الجبرتي اعتبر ما فعله الفرنسيون لا يتفق مع الأنماط الخلقية التي كانت تسود عصره. انظر: حكمت أبو زيد: المجتمع القاهري فى عهد الحملة الفرنسية كما صورته الجبرتي، ص ٣٦٦.

(٣) صلاح عيسى: منهج الجبرتي فى رؤية الظواهر التاريخية دراسة ضمن ندوة عبد الرحمن الجبرتي، ص ١٦٤.

وقد استبشع الجبرتي، كل ما كان يدور حوله من مظاهر خروج المرأة على التقاليد، واصفا له بالانفلات، والخروج عن أصول الحشمة والحياء، واستفزاز المفاهيم الخلقية الثابتة لدى المصريين هذا بالإضافة إلى مخالفتهم لقواعد الشرع والدين.^(١)

ولم يتوقف هذا الانفلات الأخلاقي بعد خروج الفرنسيين من مصر بل استمرت عمليات زواج المصلحة مع الجنود العثمانيين. وقد أوضح الجبرتي ذلك بقوله: "وكان هذا الأمر كثر بينهم وبين أهل البلد، وأكثرهم النساء اللاتي درن مع الفرنسيات، ولما حضر العثمانية تحجب، وتتقبن وتوسط لهن اشباههن من الرجال والنساء، وحسنوهن للطلاب، ورغبوا فيهن الخطاب، فأمهروهن المهور الغالية، وانزلوهن المناصب العالية."^(٢)

والى جانب ذلك فقد عرفت المرأة القاهرية فى عهد الحملة الفرنسية التظاهر فقمين بمظاهرة لأول مرة عندما قام الفرنسيون بمنع الأهالى من دفن موتاهم فى المقابر القريبة من المساكن بهدف منع انتشار الأوبئة^(٣)، وشروعهم "فى هدم التراكيب المبنية على المقابر بتربة الأريكية وتمهيدها بالأرض"^(٤)، فخرجت النساء فى جمع غفير فى شكل مظاهرة وصاروا كالجراد المنتشر ولهم صياح وضجيج، واجتمعوا بالأريكية، ووقفوا تحت بيت صارى عسكر^(٥)، الذى انزعج لمظاهرتهم وأبلغهم بعدم علمه بذلك، وأمر بإبطال عملية الهدم.

واستمرت الأحوال على هذا المنوال حتى جاء عصر محمد على، وتغيرت الكثير من الأمور تمهيدا لبناء الدولة الحديثة.

ثالثا: المرأة المصرية خلال حكم محمد على:

بعد خروج الحملة الفرنسية، وتنازع القوى من أجل الاستيلاء على الحكم فى مصر برز دور المرأة فى الحياة السياسية والعامة، فخلال الصراع على السلطة بين محمد على والمماليك قام محمد على بتسليط الجند للمطالبة برواتبهم المتأخرة ونظرا لعدم قدرة الخزانة على دفعها، اضطر البرديسى إلى فرض ضرائب إضافية على الفلاحين، مما

(١) يرى صلاح عيسى أن الجبرتي إذا كان قد استبشع مظاهر المرأة المتحررة، فإنه لم يستبشع انتشار الشذوذ الجنسي فى مصر خلال تلك الفترة. انظر: منهج الجبرتي فى رؤية الظواهر التاريخية. سبق ذكره، ص ١٦٤.

(٢) الجبرتي: عجائب الآثار، ج ٢، ص ٢٠٥ تحت عنوان (استهل ربيع الثانى بيوم الثلاثاء، ١٢١٦هـ).

(٣) عبد المنعم الجميلى: مصر فى التاريخ الحديث والمعاصر، ص ٣٤.

(٤) الجبرتي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١ تحت عنوان "واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الاربعاء ١٢١٣هـ".

(٥) نفسه.

ضايق الأهالي، وجعل النساء يخرجن من الحارات لمساندة الرجال وبأيديهم الدفوف يغنون ويقولون إيش تأخذ من تفليسى يا برديسى^(١)، مما اضطر البرديسى للهروب إلى القلعة، وإلى جانب ذلك فقد قامت المرأة المصرية بالتظاهر والتجمهر والتحريض على الإضراب، بل واستعمال العنف مع الرجال من أجل الدفاع عن مصالحها بعد أن نجحت هذه الطريقة من قبل مع الفرنسيين في تحقيق مطالبها فبعد أن ألغى محمد على نظام الالتزام ورفع أيدى الملتزمين عن التصرف، وكان لبعض النسوة أراضى بالالتزام عند محمد على ضج الناس وكثر فيهم اللغط، فقامت النساء فى القاهرة بمظاهرة عام ١٨١٤ ذكرها الجبرتي بقوله: "وحضر جمع من النساء الملتزمات إلى الجامع الأزهر". وصرخن فى وجوه الفقهاء وأبطلوا دورسهم، وفرقوا محافظهم وأوراقهم وبددوا كتبهم وملازمهم مما أدى إلى تفرق العلماء وذهابهم إلى بيوتهم، وعند ذلك انصرفت النساء وهن يقلن: سنجئ كل يوم ونبطل الدرس ونمزق الكتب حتى يفرجوا عن حصصنا ومعاشنا وأرزاقنا.^(٢)

وكان من أثر هذه المظاهرة: أن طلب نائب محمد على بعض المشايخ ليعرف منهم أسباب غضب هؤلاء النسوة حتى يعلن ذلك واستمرت مقاومة النساء لإصلاحات محمد على فى بداية حكمه فعندما قرر محمد على فرض التجنيد على الفلاحين الذين لم يألوا الخدمة العسكرية لإستخدامهم فى بناء جيشه الحديث، قاومت النساء هذا الأمر بتشويه أجساد أبنائهن عن طريق قفا عيونهم أو بتر أصبع السبابة حتى لا يكونوا لائقين للتجنيد^(٣)، مما دفع محمد على إلى إصدار أوامره بإيقاع أشد العقوبات على النسوة اللاتي يفعلن ذلك بإلقائهم فى البحر، أو شنقهم^(٤)، باعتبار أن فى ذلك ضيرا بأمور الملك والملة فضلا عن كونه مذموما شرعا.^(٥)

ولم تستمر مقاومة المرأة المصرية لإصلاحات محمد على كثيرا بل أخذت تشارك فيها، وتندمج وتتعايش معها وتساهم بقوة فيها حيث وجدت نفسها رغم التقاليد مضطرة إلى التأقلم مع التغيرات بالإضافة إلى رغبتها أيضا فى مساعدة زوجها على أمور

(١) عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، ج٤، القاهرة، المطبعة العامرة الشرفية، ١٢٢٢هـ، ص ٤٥، تحت عنوان واستهل شهر ذى الحجة يوم الاثنين ١٢٢١هـ.

(٢) الجبرتي: مرجع سابق، ج٤، ص ٢١٧، تحت عنوان واستهل شهر ربيع الأول ١٢٢٩.

(٣) محمد محمود السروجي: الجيش المصرى فى القرن ١٩، ص ١٧.

(٤) محمد فؤاد شكرى: بناء دولة ص ٤٧٩.

(٥) أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى عصر محمد على، ص ٣٧٨.

المعيشة، كما خرجت نساء الطبقة العليا عن التقاليد وسأيرت حركة التغيير وبدأت الأفكار الجديدة تفرض نفسها فمارست بعض النساء فى القاهرة أنشطة مغايرة لما يمارسه أزواجهن كبعض الصناعات اليدوية والأعمال التجارية الصغيرة، ومساعدة الأسر فى المنازل.^(١)

كما لعبت النساء القرويات دورا مهما فى إنجاح خطة محمد على لبناء دولته الحديثة التى تركت أثارا عميقة فى حياة البلاد حيث اعتمد عليها لسد النقص فى العمالة فى مصانع الغزل والنسيج عند خروج الرجال لأعمال الرى أو ذهابهم إلى التجنيد وإلى جانب ذلك فقد عملت النساء فى تقيية الأرض ورعاية الزرع من الديدان والآفات وفى حصد المحاصيل^(٢)، وبذر غيرها وقلعها ومراعاة الزرع حتى نضوجه إلى أن يعود الرجال بعد حفر الترع وشق القنوات^(٣)، وقد بلغت مساهمة الفلاحات فى العمل الزراعى، فى عهد محمد على حدا كبيرا لدرجة أن عمدت بعض النساء إلى ربط أنفسهن بالساقية والطاحونة لإدارتها بدلا من المواشى وهن شبه عاريات وكن يضعن أطفالهن الرضع على الأرض بجانبهن حتى إذا فرغن من أعمالهن قمن بإرضاعهم.^(٤)

وبعد قيام محمد على بإنشاء مصانع الغزل والنسيج الحديثة أخذ فى استخدام النساء للعمل فى المصانع إلى جانب الرجال تحت الإشراف الدقيق، وعمد إلى توظيف خدماتهن فى عمليات الغزل والنسيج والتبييض، وفى مصانع الطرابيش^(٥)، وفى كيفية غزل الصوف اللازم للعبايات، وفى تحويل القنب إلى حبال وخيوط وأقمشة^(٦)، فأمر المديرين وشيوخ الحارات وطوائف الحرف بإلزام المتعهدين بإحضار العاملات من النساء للعمل بهذه المصانع. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أمر بجمع "كل حرمة ذات ذوق ومهارة للعمل فى تطريز كسوة الكعبة التى يتم إرسالها مع المحمل الشريف كل عام".^(٧)

(١) نجى فارجيت: محمد على مؤسس مصر الحديثة، ص ١٨٨.

(٢) ديوان معية تركى: سجل ١/٤٧/١ أمر رقم ٤٦، ص ١٥، فى ١٩ صفر ١٢٢٤هـ/ ١٨١٨م.

(٣) منها عبد التواب: مرجع سابق، ص ص ١٥-١٦.

(٤) Tucker, Judith : Women in Nineteenth century Egypt. Cairo, The American University Press, 1986, P. 88.

(٥) معية تركى: دفتر ١٩ رقم ٣١٥ فى ١٤ جمادى الأولى ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م، ص ٤٥.

(٦) معية تركى: دفتر ٣٧ أمر رقم ١٩١ فى ٢٣ ربيع الأول ١٢٤٤/ ١٨٢٨م.

(٧) معية خديو تركى: سجل ١٥/٤٠/٢ أمر رقم ٢٥٧ فى ٢١ الحجة ١٢٤٥هـ، ١٨٢٩، ص ١٧٩.

وكان يشرف على عمل النساء وينظمهن "حرمة معروفة" كان يتم اختيارها من قبل الحكومة، وكان يتعين عليها العمل بناء على توجيهات محددة.^(١)

وهكذا عرفت المرأة في عهد محمد على ولأول مرة الوظيفة الرسمية فبحشد أعداد كبيرة من النساء للعمل لحساب الحكومة في صناعات الغزل والنسيج أصبحت المرأة عاملة للدولة فخرجت للعمل في المصنع، يضاف إلى ذلك أن محمد على حاول كسر قيود أوضاع المرأة الاجتماعية عن طريق تعليمها ومشاركتها في بناء دولته الحديثة، فأنشأ مدرسة للولادة.^(٢) لتكون النواة التي يركز عليها ليس فقط في تعليم المرأة وإنما في عملها حيث عملت خريجات هذه المدرسة في الميدان الطبي، وشاركن في بناء الدولة الحديثة التي أرادها محمد على لمصر.

وهكذا صور لنا عبد الرحمن الجبرتي كمفكر محافظ التغيرات التي طرأت على أوضاع المرأة المصرية خلال فترة انتقال مصر من العصور الوسطى إلى الحديثة والتي اتضح من خلالها أن التحديث الذي جلبته الحملة الفرنسية اختلف في مغزاه عن إجراءات التحديث التي تمت في عصر محمد على والتي كان لها الآثار الكبيرة في حياة مصر الحديثة، وفي مشاركة المرأة المصرية فيها رغم قيود التقاليد، ومساهمتها بقدر غير قليل في الحياة العامة بدليل أن الجبرتي أشار إلى ذلك في أكثر من موضع في كتابه النفيس المسمى عجائب الآثار في التراجم والأخبار.



(١) سها عبد النواب: مرجع سابق، ص ٨٠.

(٢) أنشئت هذه المدرسة في عام ١٨٣٢م وقد ألحق بها في السنوات الأولى من حياتها الحبيشيات ثم انضم إليها المصريات، وحول نظام هذه المدرسة والدروس التي كانت تتلقاها الطالبات .
انظر: عبد المنعم الجميلى: وثائق التعليم العالي في القرن التاسع عشر، ص ٤٧.

ملاحق الدراسة

ملحق رقم (١)

المصدر: دار الوثائق القومية: معية تركي دفتر ٨ أمر رقم ١٠٠٠ ، ص ٨٢.
الموضوع: أمر كريم إلى كاشف المنصورة بمنع بعض المشايخ من الاستيلاء على أجور النساء.

التاريخ: ٨ ربيع الأول ١٢٣٨ / ١٨٢٢م

قدم إبراهيم شيخ صناعة الكتان من قرية أطوابير بإقليم المنصورة عريضة يقول فيها أنه يوجد مبلغ ١٤٠ ريالاً في ذمة المعلم وذلك قيمة أجرة النساء اللاتي يشتغلن في أشغال الكتان وأن المعلم المذكور ممتنع عن إعطاء النساء حقهن. فيلزم إجراء التحقيق وإعطاء النساء حقوقهن وتأييد المعلم المذكور.

ملحق رقم (٢)

المصدر: دار الوثائق القومية: معية تركي دفتر ٥٨ أمر رقم ٣٥١.
الموضوع: أمر كريم بإلزام المتعهدين بجمع خمسة آلاف عاملة من النساء للعمل في المصانع.

التاريخ: ٢٥ رجب ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م.

جواباً على طلبكم نحو خمسة آلاف عاملة من النساء لأشغال الغزل نقول أن المتعهدين بتقديمهن سبق أن تعهد كل واحد منهم بمقدار وقد كتبنا لكل منهم تذكرة بلزوم إيفائه ما تعهد به وأنتم بدوركم يلزمكم أن تراجعوا المتعهد في المديرية ومتى ما جاء الجواب منهم تجرى ما يجب إزاء ذلك التقصير وبهذه الصور تكون أدينا المصلحة حقها المقتضى لها.

ثبت المصادر والمراجع

الوثائق:

دار الوثائق القومية بالقاهرة.

أولاً: وثائق غير منشورة:

- ديوان معية تركى:

١- سجل ١ / ٤٧ / ١ أمر رقم ٤٦ فى ١٩ صفر ١٢٣٤هـ.

٢- سجل ٢ / ٤٠ / ١٥ أمر ٢٥٧ فى ٢١ الحجة ١٢٤٥هـ.

- معية تركى:

١- دفتر ٣ أمر رقم ١٩٩ فى ١٩ ربيع الآخر ١٢٣٤هـ.

٢- دفتر ١٩ رقم ٣١٥ فى ١٤ جمادى الأولى ١٢٤١هـ.

٣- دفتر ٣٧ أمر ١٩١ فى ٢٣ ربيع الأول ١٢٤٤هـ.

ثانياً: وثائق منشورة:

وثائق التعليم العالى فى القرن التاسع عشر. دراسة وإشراف د. عبد المنعم الجميلى، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٤م.

ثالثاً: المصادر والمراجع العربية:

- أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى عصر محمد على، القاهرة، النهضة المصرية، ١٩٣٨م.

- جى فارجيت: محمد على مؤسس مصر الحديث- ترجمة محمد رفعت عواد، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة ٤٩٢.

- حكمت أبو زيد: المجتمع القاهرى فى عهد الحملة الفرنسية كما صورته الجبرتى. دراسة ضمن ندوة الجبرتى التى أقامتها الجمعية التاريخية، ١٩٧٤.

- درية شفيق وإبراهيم عبده: تطور النهضة النسائية في مصر من عهد محمد على إلى عهد الفاروق، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٤٥.
- ستانلى لين بول: سيرة القاهرة - ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخران ، القاهرة، النهضة المصرية. د.ت.
- سها عبد التواب: المرأة العاملة في الصناعة في النصف الأول من القرن التاسع عشر - رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب فرع بنى سويف جامعة القاهرة.
- صلاح عيسى: منهج الجبرتي في رؤية الظواهر التاريخية، دراسة ضمن ندوة عبد الرحمن الجبرتي التي أقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٧٤.
- عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار (طبقات متعددة).
- عبد المنعم الجميلى: مصر في التاريخ الحديث والمعاصر، القاهرة، ١٩٩٢.
- كلوت بك: لمحة عامة إلى مصر ، ج١- تعريب محمد مسعود- القاهرة، مطبعة ابو الهول د.ت.
- محمد فؤاد شكرى وآخران: بناء دولة مصر محمد على، السياسة الداخلية ، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٤٨.
- محمد كمال يحيى: الجذور التاريخية لتحرير المرأة المصرية فى العصر الحديث، القاهرة، سلسلة مصر النهضة ١٩٨٣.
- محمد محمود السروجى: الجيش المصرى فى القرن ١٩، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧
- محمود الشرقاوى: مصر فى القرن الثامن عشر، ج١، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٥٥.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

- Tucker, Judith: Women in Nineteenth Century Egypt, Cairo, The American University, Press, 1986.

خامساً: الدوريات:

الأستاذ: الجزء السادس عشر فى ٦ ديسمبر ١٨٩٢.